

## سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ۖ كَانَهُمْ بُنِينَ مُرْضُوعِينَ ۝ ﴾

سُبِّحَ لِلَّهِ: نزهه ومجده تعالى وذل عليه.

كَبُرَ مَقْتًا: عظم بغضا بالغ الغاية.

صَفَاءً: صافين أنفسهم أو مصفوفين.

بُيَانُ مَرَّصُوصٍ: متلاصق محكم لا فرجة فيه.

الكون كله - ماعدا الإنسان - يخلو من التناقص في كل ناحية من نواحيه ، فالخشب في هذا العالم يبقى خشباً أينما وُجد، وما نراه في صورة الحديد أو الحجر مثلاً، نجده على محك التجربة العملية حديداً أو حجراً كذلك . والمطلوب من الإنسان أيضاً أن يكون كذلك ، فينبغي أن يكون ظاهره وفقاً لباطنه، وأن يكون فعله مطابقاً لقوله، حتى لو اضطر إلى دفع ثمن قوله بالصبر والصمود كالجبل الشامخ في وجه العقبات والشدائد على اختلاف أنواعها !!

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٠٠﴾

زَاغُوا: مالوا باختيارهم عن الحق.

أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ: حرمهم التوفيق لاتباع الحق.

بُعث موسى عليه السلام في بني إسرائيل ، وقد كان بنو إسرائيل يوم ذاك شعباً أصيب بالفساد والانحطاط ، بحيث لم يعد في نفوسهم من الشجاعة الإيمانية ما يجعلهم يفعلون ما يقولون ، ويقولون ما يفعلون ، ففيما كانوا يدعون الإيمان بموسى عليه السلام من جهة ، لم يكونوا يتخرجون من نقض العهود والمواثيق ولا يتورعون عن إتيان المعاصي والمنكرات من جهة أخرى ، حتى إنهم كانوا يواجهون ضروب الاتهامات الكاذبة إلى موسى تبريراً لسلوكهم الشائق معه عليه السلام ( ولمزيد من التفصيل في هذا الشأن يراجع سفر الخروج وسفر العدد من العهد القديم ). وكلما خالف الإنسان العهد أو نقضه بعد إبرامه ، اتسعت الفجوة بينه وبين الحق أكثر من ذي قبل !

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَأَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾

نُورَ اللَّهِ: الحق الذي جاء به الرسول ﷺ.

وَأُخْرَى: ولكم من النعم نعم أخرى.

لقد كانت معجزات سيدنا المسيح ﷺ تتضمن دليلاً قاطعاً على أنه نبي مرسل

من عند الله ، ولكن اليهود قابلوه بالإعراض والتكذيب باعتبار معجزاته سحراً وشعوذة ، وهكذا كانت الكتب السماوية السابقة تحتوي على نبوءة واضحة بمجيء نبي آخر الزمان ﷺ ولكنه لما جاء قوبل بأشنع الرفض والإنكار من جانب اليهود والنصارى على حد سواء .

إن الإنسان ظالم لدرجة أنه يأبى الاعتراف حتى بالحقائق الجلية الصارخة التي لا سبيل إلى إنكارها !! والمقصود من الغلبة في الآية ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ هي الغلبة الفكرية ، يعني تمكين عقيدة التوحيد من البقاء وحدها كفكرة غالبية في أنحاء العالم كافة، وجعل ما سواها من المعتقدات غير التوحيدية عن قضايا الألوهية والدين والعبادة، مغلوباً على أمره من الناحية الفكرية إلى الأبد ، ولقد نزلت هذه النبوءة القرآنية سنة ٣ هجرية في ظروف غير مواتية للغاية، إلا أنها تحققت حرفاً حرفاً فيما تلاها من الأعوام والقرون !

﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ ﴾

في عالم التجارة يقوم الإنسان بالبذل والعطاء أولاً، ليظفر بما يعود عليه من الربح أخيراً ، وكفاح الدين هو الآخر نوع من التجارة، من حيث إن المرء يضطر في سبيله كذلك إلى بذل الكثير من وقته ونفسه وماله، بيد أن ربح التجارة الدنيوية محدود وهو يقتصر على الحياة الراهنة وحدها، وأما تجارة الدين فأرباحها لا تُحد وهي تشمل كلتا

الحياتين الدنيا والآخرة ، كما أن هذه " التجارة " تفتح باب الغلبة والتمكين ، الذي هو الوسيلة الكبرى بالنسبة إلى طائفة ذات مبدأ ورسالة للحصول على حياة كريمة تحت ظلال وارفة من الأمن والاستقرار على هذه الأرض !!

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوتُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

لِلْحَوَارِيِّينَ: أصفياء عيسى وخواصه.

فَأَيَّدْنَا: قوينا المحقين بالإيمان.

ظَاهِرِينَ: غاليين بالحجج والبيانات.

إن سيدنا المسيح ﷺ وإن كان قد قوبل بالرفض والإنكار من جانب الأغلبية العظمى من بني إسرائيل ، إلا أن بعضاً منهم وقفوا إلى جانبه ﷺ وناصروه ما دام بين أظهرهم بكامل الإخلاص والوفاء ، ثم قاموا بعد رفعه ، بنشر تعاليمه ودفع مسيرته إلى الأمام بهمة ونشاط ، وهم الذين عرفوا بالحواريين ، وهذه الفئة القليلة العدد هي وحدها قد أعتبرت عند الله في عداد المؤمنين ، بينما أعتبر سائر اليهود ، رغم إيمانهم بالأنبياء السابقين على المسيح ، كافرين !

والغلبة المشار إليها في هذه الآية هي غلبة المؤمنين برسالة المسيح عامة ، على المكذبين برسالته من بني إسرائيل عامة ، كما حدث في التاريخ بالفعل ، فعلى إثر المسيح اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين الثاني (٢٧٢-٣٣٧ م) الديانة النصرانية ، وقد كانت رقعة مملكته تمتد من بلاد الشام إلى فلسطين ، مما جعل معظم رعاياه الرومانيين يدخلون في دين المسيح زرافات ووحداً ، حتى بات اليهود إزاءهم أقلية مغلوبة على أمرها ، كما

أن دولة إسرائيل اليهودية في العصر الحديث هي الأخرى ليست مستقلة بذاتها أو قائمة على رجلها ، وإنما هي تابعة لكبرى الدول المسيحية من كل الوجوه والاعتبارات !!